

تمثّلات الأفلام السينمائية في رسم الخريطة الجيوسياسية لدول المغرب العربي

د/ ليندة بوسيف¹

المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام

boussif.lynda@gmail.com

تاريخ الوصول: 2018/11/16 / القبول: 29/05/2019 / النشر على الخط: 2019/06/15

Received: 16/10/2018 / Accepted: 29/05/2019 / Published online: 15/06/2019

الملخص

خلال حقبة الاستعمار الفرنسي، لم يكن للسينما المغربية وجود حقيقي، كانت غالبية الأعمال السينمائية تقتصر على إنتاج الأفلام القصيرة، ولكن في أواخر الخمسينيات، انبثقت السينما المغربية والتونسية، وفي بداية الستينيات أبصرت النور السينما الجزائرية حينذاك، ظهرت أوائل الأفلام الطويلة في هذه البلدان، وقد غيرت الأفلام المنتجة بعد الاستقلال تماما الصورة المتداولة عن بلاد المغرب العربي، وقدمت نظرة جديدة عن ثقافة شعوبها وتاريخهم، فكان للسينما دور حيوي وفعال ورغم متعاشه المغرب العربي من مرحلة إنتقالية، ولكن الإرادة السياسية جعلتها تؤدي خدمة عمومية من خلال ثقافة تقدم أجوبة قوية عن المشاكل والاضطرابات التي تواجهها جل المجتمعات المغربية وبفضل الثورة الرقمية التي حررت الشعوب وحققت الديمقراطية، ساعدت السينما على خوض تجارب جديدة بعيدة عن الطرق التقليدية للإنتاج الذي كان حبيسه قوالب معينة، فبهذا نجد أن لسينما دورا هاما في تحديد الكثير من تفاصيل الواقع والحاضر والمستقبل.

لهذا نجد أن الكثير من قادة الرأي السياسي في المغرب العربي يتعاملون مع هذا الفن السابع بحذر كبير، بإعتباره سلاح ذو حدين، فهم يرون أنه إن لم يتم توظيفه بالشكل الذي يخدم قضايا المجتمع، فإنه يضر ولا ينفع.

الكلمات المفتاحية: دلالة - فلم سينمائي - الخريطة الجيوسياسية - السينما الجزائرية

ABSTRACT

During the French colonial era, no film Maghreb real existence, the majority of the film business are limited to producing short films, but in the late 1950s, the Moroccan and Tunisian cinema emerged, at the beginning of the 1960s saw the light then appeared early Algerian cinema Feature films in these countries, have altered films produced after the independence of Morocco's country image perfectly, and provided a new look on the culture of their people and their history, the film has a vital role, effectively despite Arab Morocco Donny die in transition, but political will based lead A public service culture through powerful answers on problems faced by unrest all Maghreb communities thanks to the digital revolution that liberated peoples and achieved democracy, helped the movies on new experiences away from traditional methods of production which was trapped in certain templates, you find that Cinema plays an important role in determining many details of reality, present and future.

That's why many Arab Morocco's political opinion leaders deal with this seventh art with great caution, as a double edged sword, they see he is not employed by serving the community issues, it hurts and not working.

Keywords: sign-film – geopolitical map – Algerian cinema

مقدمة:

المؤلف المرسل: ليندة بوسيف، الإيميل: boussif.lynda@gmail.com

الفن السابع أو ما يعرف بالسينما التي تعتبر من بين أهم الوسائل الإتصالية والتي إرتبطت بالعلم الحديث وتطبيقاته والتي تحولت من فن صامت إلى ناطق ومن الأبيض والأسود إلى الملون، بفعل التطورات التكنولوجية التي عرفها المجتمع البشري، والتي تماشى مع إزدهار مختلف العلوم والفنون، فأصبحت لهذه الوسيلة القدرة على التعبير من خلال الصورة والصوت والحركة على القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع، وذلك لما لها من نفوذ سحري يحكم ما تصنعه من عناصر التشويق والجاذبية، والتي تجعل نفاذ آثارها ميسرا لجميع الفئات.

وإن كان لسينما في الدول المتقدمة شأنها شأن إقتصادها المتطور، فإنها بذلك تتعدى الأوضاع الاجتماعية إلى السياسية، ولكن هذا ما لا نجده في دول المغرب العربي خصوصا الجزائر التي لا تزال تحاول فيها.

ترجمة الواقع المعاش، ففي فترة الاستعمار تناولت القضية الوطنية والوجود الإستعماري، وبعد الاستقلال عمدت على ترسيخ القيم الإشتراكية، والآن في ظل التعددية الحزبية تحاول معالجة قضايا المجتمع، كالبطالة، والفقر، والوضع الأمني وغيرها، لكن بتحفظ شديد لا يتعدى الخطوط الحمراء التي رسمتها الدولة الجزائرية، ولكن ورغم هذا إلا أننا نلمس إرادة سياسية من طرف صناع القرار لتحكم أكثر في هذا الفن السابع الذي يحدد الكثير من تفاصيل الواقع والحاضر والمستقبل، من خلال تميزه بسلاح ذو حدين إذا تم توظيفه بالشكل الذي يخدم قضايا الدولة، فإنه ينفعها وإذا على العكس فإنه يضرها، من خلال هذا تبلور لنا في ذهننا الإشكالية التالية:

• كيف يمكن للسينما أن تلعب دورا مهما في رسم الخريطة الجيوسياسية المغاربية عامة و الجزائرية خاصة؟

تساؤلات الدراسة:

1. ما هو الدور الذي تلعبه السينما في رسم الخريطة الجيوسياسية الجزائرية ؟
2. ما هو التطور الذي تطرحه السينما من أجل خدمة قضايا الدولة ؟
3. ما هي المعاني والرسائل الضمنية التي نقلت للمشاهد قضايا المجتمع ؟
4. ما هي ملامح الصورة التي حاولت السينما إبرازها لترسيم الخريطة الجيوسياسية وللإدارة السياسية لصناع القرار المغاربة عامة و الجزائريين خاصة ؟

تحديد المفاهيم والمصطلحات:

إن لكل بحث يشترط إستعمال مفاهيم يمكن إعتبارها طوال البحث، وبالتالي إختارنا مجموعة منها كركيزة لبحثنا والتي حاولنا تعريفها .

1. السينما:

هي كلمة مختصرة للتعبير الفرنسي Cinématographe والتي تعني هذه المختصرة، الفن السينمائي كوسيلة تعبير مستقلة ومتميزة أو القاعة التي تعرض فيها الافلام السينمائية، ويقابل هذا التعبير الفرنسي، التعبير العربي الفصيح " الخيالة"¹.

ويعود أصل التسمية إلى الجهاز الذي اخترعها الأخوان "لوميير" في فرنسا بباريس عام 1895، وقد إستحوياه من جهاز " أديسون" الكينيتوسكوب، ولكن أضافا إليه تعديلات مما أتاح الفرصة أمام العديد من الناس مشاهدة الصور المتحركة على الشاشة في قاعة عامة². ولكن هذه الكلمة المختصرة " السينماتوغراف" والتي إختصرت إلى السينما أصبحت تعني كل ما يتعلق بالجوانب المختلفة للفن السينمائي، ومنها الجانب الإقتصادي، أي إنتاج وتوزيع وإستهلاك الأفلام، والجانب الفني الجمالي وهو ما يتعلق بالسينما كفن من الفنون، وكذلك الجانب الإعلامي والدعائي بإستعمالها كوسيلة هامة من وسائل الإتصال الجماهيري نظرا لما لديها من عناصر التشويق والإثارة.

والسينما هي وسيلة من وسائل التعبير الفني، تقوم على تسجيل الصور المتحركة على شريط وإعادة عرضها من خلا أجهزة ومعدات خاصة، والواقع أن كل صورة على حدى هي صورة ثابتة لا تتحرك، وأن تتابع الصور وإستمرارها بطريقة معينة هي التي توهم المشاهد بالحركة.

2. اللغة السينمائية:

تسعى السينما منذ ظهورها إلى تحقيق التواصل، وذلك لما لها من قدرة التأثير على المشاهد، كما تعمل على نقل الافكار، الاخبار، الإيديولوجيا، وتحمل معاني ودلالات متنوعة، وهذا ما جعلها اليوم الظاهرة الأكثر إنتشارا في العالم وذلك بأسلوب فني خاص، عن طريق التجميع المنسق لمجموعة من الخصائص السينمائية المعينة التي تحوي عددا من العلامات والإشارات، ما يجعل منها نظاما سينمائيا قائما بحد ذاته، والسينما تركز أساسا في تعبيرها على الصورة المتحركة للفلم، التي تحولها على لغة خاصة هي اللغة السينمائية، ولم يقتزن هذا المفهوم – اللغة السينمائية – بظهور سيمولوجيا السينما، بل سبق له أن ظهر منذ العشرينيات من القرن العشرون عند السينمائيين الانطباعيين حيث يقول³ :

- لويس دلوك Luis DELLUC: السينما لغة عالمية ووسيلة تخاطب بين الشعوب، قادرة على الوصول إلى كل مكان.
- إيدل كانس Adel CANCE: السينما لغة الصورة التي وإن لم تتطور بعد، ينبغي أن تكتسب قواعد مفصلة ونحوا دوليا.
- جان إبشتين Jean EPSTEIN: يدعو إلى ضرورة إستقلال السينما بوصفها لغة متميزة عن وسائل التعبير الأخرى.
- كريستيان ميتز Christian METZ: اللغة السينمائية، لغة هجينة لأنها تتألف من إقتران خمس مواد تعبير دالة مختلفة بعضها عن البعض، نوعان يؤلفان شرطة الصورة وهما الصورة الفوتوغرافية المتحركة والبيانات المكتوبة، وثلاثة أنواع هي

1. إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الإجتماعي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ص 42.

2. وهيبه مجدي، أحمد عامل مرسى، معجم الفن السينمائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ص 66.

التي تشكل شرط الصوت، وهي الصوت التشابهي أو الصوت الأيقوني، الصوت المنطوق به أي صوت المتكلم من خلال الحوار أو التعليق، والصوت الموسيقي، الموسيقى الألية¹.

3. الدلالة:

هي ما يوجب غدرارك شيء بسبب إدراك شيء ملازم له².

- في اللغة العربية : هي دله عليه، أي أرشده إليه، والدلالة هي الأمانة ومن المجاز: "الدال على الخير كفاعله".
- اما في الاصطلاح: غالبا ما تتوافر العلاقة بين المدلولين اللغوي والإصطلاحي، إذ تتركز على الثنائية وتستمد منها مقوماتها، لأن الوضع اللغوي الذي تصالح عليه أهل اللغة قديما، يلقي بظلاله ومعناه الدلالي على المعنى العلمي، فالمصطلح يتشكل مع نمو الإهتمام في أبواب العلم وبالإحتكاك الثقافي.
- وهي عند الاصوليين: كون الشيء بحالة من العلم بما العلم بشيء آخر، والشيء الاول هو الدال والثاني هو المدلول. وهذا التعريف لا يخرج عن تعريف المناطقة، وهو فهم أمر من أمر، أكون أمر بحيث يفهم منه أمر آخر، فهم بالفعل أو لم يفهم، فلا بد عند الاصوليين أن تحقق الدلالة عنصرين، وهما الدال والمدلول.

4. الجيوسياسية: أو "الجيوبوليتيك":

مصطلح تقليدي ينطبق في المقام الأول على تأثير الجغرافيا على السياسة فهو علم دراسة تأثير الأرض على السياسة في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميزات وفق منظور مستقبلي أضاف إلى الجيوسياسية فرع الجيواستراتيجية، ولكنه تطور ليستخدم على مدى القرن الماضي ليشمل دلالات أوسع، فهو يشير تقليديا إلى الروابط والعلاقات البيئية بين السلطة السياسية والحيز الجغرافي، في شروط محددة، وغالبا ما ينظر على أنه مجموعة من معايير الفكر الإستراتيجي والصفات المحددة على أساس الأهمية النسبية للقوة البرية والقوة البحرية في تاريخ العالم، هذا التعبير مشتق من كلمتين، جيو وهي باليونانية تعني الأرض، وكلمة السياسة أكاديميا ودراسة الجغرافيا السياسية ينطوي على تحليل الجغرافيا والتاريخ والعلوم الاجتماعية مع سياسة المكان وأنماط بمقاييس مختلفة بدءا من مستوى الدولة على الصعيد الدولي³.

مصطلح علم الجيوسياسية أو الجيوبوليتيك وأهميته لعلم الجغرافيا السياسية:

إن علم الجيوسياسية له أهمية كبيرة إهتمت به الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر، وكان ذلك بسبب الحروب التي حصلت بينهم، غما على المستعمرات أو على الأراضي الأوروبية نفسها، بحيث تذبذب علم الجيوبوليتيك بين القبول والإهمال، وكل هذا يبين الأهمية التي حظى بها علم الجيوسياسية⁴.

وفي معناه البسيط: هو علم سياسة الأرض، أي دراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة، ويتداول هذا المفهوم مع مضمون علم الجغرافيا السياسية الذي يعني بدراسة تأثير الجغرافيا (الخصائص الطبيعية والبشرية) في

3. وهبية مجدي، أحمد عامل مرسي، نفس المرجع السابق، ص 63، 64.

4. سامح عبد السلام محمد، الدلالة بين المفهوم والإصطلاح، دار النور المصرية، القاهرة، مصر، 2014، ص 18.

5. محمد الهيلوش، مبادئ الخرائط، دار المسلك للدراسات الجغرافية، المغرب، 2011، ص 63.

6. عبد القادر إسباعي، قراءة وتحليل الخرائط الجيوسياسية ومبادئها، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2003.

السياسة، ولدى البعض فإن الجغرافيا السياسية تدرس الإمكانيات الجغرافية المتاحة للدول، بينما الجيوبوليتيك تعني بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتنمو حتى ولو كان وراء الحدود.

5. الخريطة السياسية:

هو مصطلح يستعمل لتحديد الإنتماءات السياسية وحجمها وقوتها¹، حيث تعتبر الخريطة وسيلة عالمية تستخدم للتعبير والتفاهم بين الشعوب، فهي تتعدى مختلف الحواجز السياسية واللغوية، وهي كذلك أداة سياسية مستخدمة في مختلف الفروع الجغرافية، حيث يجمع الجغرافيون عن طريق الخرائط، يمكن أن نجد المعلومات الأساسية، والحقائق المرتبطة بالعلاقات السكانية لدراساتها وتحصيلها، وهي عبارة عن ورقة أو لوحة ثنائية الأبعاد تقدم تمثيلا رمزيا مصغرا لسطح الأرض، أو لجزء منه كما يفترض أن يراه الإنسان من الأعلى.

6. السينما الجزائرية:

السينما فن جماهيري حديث النشأة، تطور وتبلورت لغته وبان أسلوبه المميز سريعا، وإستطاع بفضل تقنياته في الإبحار والتأثير وإستخدامه للتكنولوجيا المتطورة أن يستحق لقب فن العصر الحديث بلا منازع، وان يصنع لنفسه مكانا راسخا بين الفنون الأعرق منه، حيث تتميز السينما بإعتبارها وسيلة تعبير بقدرتها على تناول مختلف المواضيع التي تعكس واقع الفرد وما تعيشه في محيطه، والتحدث بلغته ومن ثم التأثير عليه.

عملت السينما الجزائرية على مدى تاريخها الوجيز لتنبؤ مكانة لائقة ضمن السينما العالمية، فبالرغم من أنها إمتازت ببداية صعبة وعسيرة إذ أنها ولدت إبان الحرب التحريرية، إلا أن بعض التجارب التي خاضتها وجدت لنفسها مكانا في المحافل الدولية، وقد إرتبطت هذه السينما بمحيطها السياسي والإجتماعي والإقتصادي، الذي أثر على مضامين الأعمال المنتجة، لا سيما في تلك العشرية من القرن الماضي أي فترة العنف والإرهاب التي أثرت بشكل كبير على كمية ونوعية مضامين الأفلام، حيث إمتدت تأثيراتها إلى الألفية الثالثة من حيث المواضيع المطروحة².

المحور الأول: السينما المغاربية ودورها في رسم الخريطة الجيوسياسية:

إن الحديث عن السينما المغاربية ودورها في رسم الخريطة الجيوسياسية يستدعي بنا تصنيف هذا الكم الهائل من الأفلام التي صورت في كل من المغرب، تونس والجزائر التي تناولت مجتمعهم بروئ مختلفة ومتباينة، فالنشاط السينمائي في دول المغاربية إمتد لفترات طويلة.

ففي تونس لا تزال تعيش السينما الحقبة البورقيبية التي تعتبر وسيلة مقاومة، فهي لا تختلف كثيرا عن سينما البلدان المغاربية أو حتى العربية حيث إشتد الوسط الثقافي السينمائي في تونس، حيث سميت جل الأعمال بالبديلة كونها تأثر على المشاهد من خلال كيفية تقييمها للأوضاع السائدة في البلاد التونسية، حيث أننا نجد السينما التونسية في الألفية الثالثة أصبحت وسيلة مقاومة للمقاومة الديكتاتورية، حيث أننا نجد أنه عام 2008 تبلور مفهوم السينما البديلة، خصوصا في ظل الحصار الذي ضربه النظام على الحريات.

7. محمد الهيلوش، مبادئ الخرائط، مرجع سابق، ص 60.

8. محمد شومال، تحليل الخطاب، النظرية التطبيقية، الدار المصرية، اللبنانية، 2007، ص 80.

حيث إرتبط هذا الفن السابع بالواقع وتأثير بكل المتغيرات التي طرئه، فهو ما ساهم في إنقسام على مستوى التطبيق السينمائي، حيث كانت السينما في تونس مسايرة للمسار التاريخي السياسي، الذي شهدته البلاد خصوصا بعد أحداث الربيع العربي، حيث كانت الأفلام التي أنتجت في تلك الفترة بمثابة مرآة عاكسة للجو الخانق الذي كانت تعيشه من طرف النظام وهذا ما تجسد في فلم "في بلاد الشاق واق" لنصر الدين السهيلي، الذي عالج المسألة بطريقة كوميدية ساخرة، وكذلك فلم "كحلوشة" لنجيب بلقاضي وغيرهم من الأفلام، التي كان لها الدور في معالجة الكثير من الأوضاع حيث حملت رسائل تعبر عن مدى معاناة الشعب التونسي في ظل نظام دكتاتوري¹.

أما فيما يخص التبادل الثقافي الفني بين تونس والمغرب والجزائر:

فإننا نجد ان تونس قامت منذ الإستقلال بعلاقات ثقافية مع جيرانها المغاربة، وأعطت هذه العلاقات الأولوية، ن هذه الرغبة تدخل في إطار سياسة الرئيس السابق بورقيبة الذي كان يعطي الأولوية للتكامل الإقليمي المغربي. بعد الثورة، وقع إتحاد الكتاب التونسيين وإتحاد الكتاب الجزائريين، إتفاقا للتعاون الثقافي، يشجع هذا الإتفاق الأعمال الأدبية في البلدين، وتبادل زيارات الكتاب بينهما².

أما في المغرب:

تعد السينما سلاحا إبداعيا فعالا، نظرا لقدرة هذا الفن على تمثيل القضايا الإنسانية، وكذلك على جميع الأصعدة الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية والإنسانية، هذا لأنه يرجع إلى مدى تأثيرها على المتلقي، وقدرتها على التلميح إلى إنشغالات الذات الإنسانية بمجموعة من الهموم التي يعيش الإنسان حرقها على المستوى الكوني، والسينما المغربية بإعتبارها تشهد تحولات إبداعية ومراعات مكانتها من الإبتعاد عن غيرها في البلدان الإفريقية، إنشغلت بدورها على قضايا إنسانية عامة وبقضايا وطنية خاصة، وإفريقية أيضا، وهذه القضايا متعددة كالقضية الامازيغية، والإعتقال السياسي، والإرهاب، ومكانة المرأة، وربما يعود تمكنها من ملامسة العديد من الإشكالات، إلا أنها خاضت تجربة تاريخية متميزة، جعلت منها تستفيد من أخطائها وتحتك بالتجارب الغربية الأخرى، فصارت جاهزة لترسم لنفسها مسارا يميزها³.

السينما المغربية ودورها في رسم الخريطة الجيوسياسية:

إن المتتبع للسينما المغربية يرى أن هناك الكثير من عناوين الافلام التي تناولت قضايا المجتمع المغربي ومدى معاناته، فمسألة الإعتقال السياسي، وظاهرة التعذيب، والقمع داخل السجون المغربية، مجد أن السينما كان لها دور جد فعال في نقد الواقع السياسي، وإدائته في تعرية الحقائق، ومحاولة تنوير عموم الشعب على الاجهزة القمعية من أجل الحرية والكرامة والمواطنة، ومن بين هذه الافلام نذكر على سبيل المثال فلم "علي" "ربيعة وأخرون" للمخرج أحمد بولان⁴، وفلم "صقائر" لصحابه الجيلاني فرحاني و"وجهه لوجه" للمخرج عبد القادر لقطع، والفلم الوثائقي، "أشلاء" لحكيم بلعباس، حيث إشتكت هذه

9. عبد القادر شرشار، تحليل السرد، وقضايا النص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 103.

10. مارس مرتان فريد المزاوي، اللغة السينمائية والكتاب بالصور، دمشق، 2009، ص 75.

11. نائل عزيز تركماني، الحثم محمود عبد الحميد، تاريخ السينما، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص120.

12. نائل عزيز تركماني، نفس المرجع، ص 121.

الأفلام في تنوعها من حيث المساجين والملاحقين وتشرد عائلاتهم، مركزة في ذلك على أبعاد السياسية والاجتماعية وتأثيراتها النفسية على المتعرضين لأعمال العنف والقهر.

تبادل الثقافي والفني بين المغرب والدول والمجاورة لها:

في مجال التعاون الدولي، يبدو أن وزارة الثقافة المغربية لم توقع أي إتفاق من هذا النوع مع أي بلدان شمال إفريقيا الأربعة، ولكن من ناحية أخرى، يبدو أنه توجد طرق أخرى للتعاون الثقافي الدولي من خلال وزارة الخارجية التي تدير العلاقات الثقافية والعلمية مع البلدان والمؤسسات الأجنبية، وتهدف وزارة الخارجية المغربية إلى¹:

- (1) ضمان تنمية التعاون الثقافي والتعاون الدولي، الثنائي أو متعدد الاطراف.
- (2) ضمان التنسيق مع مختلف الإدارات المعنية طبقا لبرامج الحكومة المتعلقة بالشؤون الخارجية.
- (3) إدارة المفاوضات والإتفاقيات التي تدخل في إمتيازاتها .

حيث تهتم وزارتا الثقافة والخارجية معا بوضع إتفاقيات التعاون تلك موضوع الإتفاق.

وبالتالي، فإنه يوجد إتفاق ثنائي وبرامج تنفيذية للتعاون بين المغرب وتونس والجزائر، حيث نجد أن التبادل الطلابي والبحث العلمي هما المحاور الرئيسية للتعاون الثقافي العلمي بين البلدين.

المحور الثاني: وظائف الخطاب السينمائي والإرادة السياسية الجزائرية:

لم يكن للسينما الجزائرية أن تنشأ وتتطور في مسار خطي مستقيم ومنتظم، فشأنها شأن المجتمع الجزائري ومؤسساته الناشئة عرفت مسار تاريخها القصير فترات للتألق وأخرى لا، فكل إنتاج سينمائي خطاب يميزه عن غيره، ما هو الخطاب السينمائي؟، وما هو الدور الذي يلعبه في رسم الخريطة الجيوسياسية خصوصا في الجزائر؟.

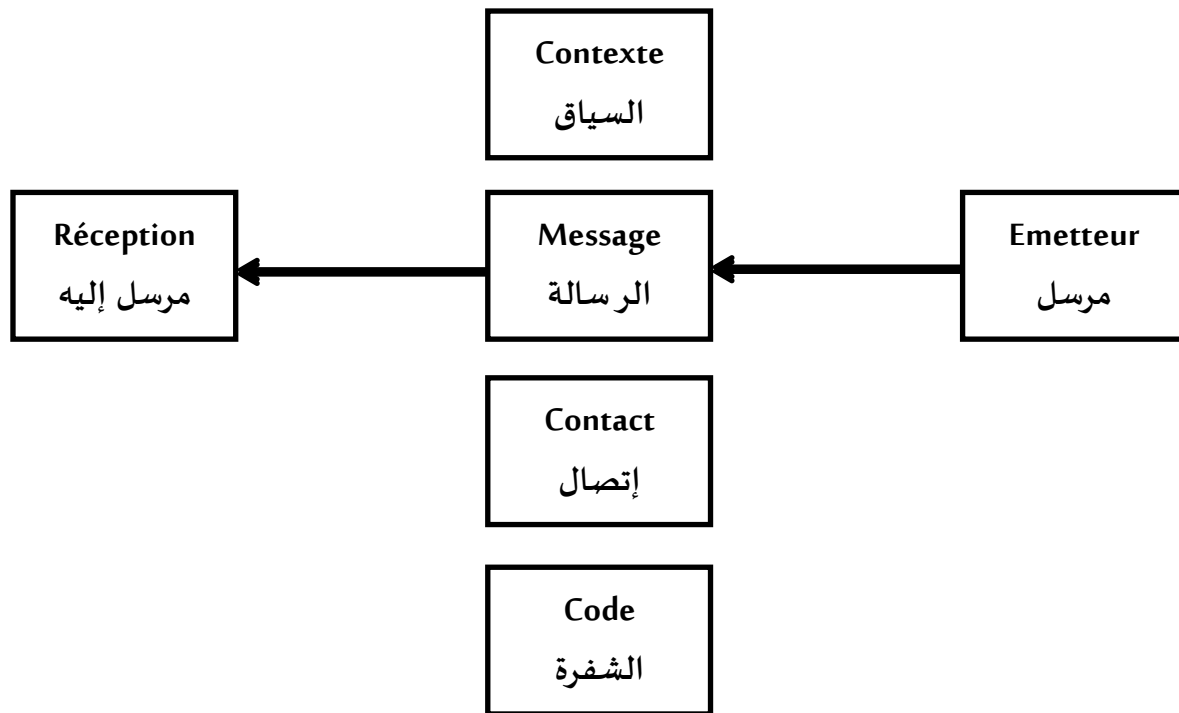
الخطاب السينمائي:

هو موضوع التواصل، ويكون من المضمون الذي تحمله المعلومات التي تحويها، فالأشخاص في مجال السينما أو داخل المنظومة السينمائية، يحققون إيصال خطابهم أو عقدتهم المجهولة ويصبحون موضوع التواصل المباشر مع الجمهور، عبر الخطاب المرئي الذي يقدمونه ويتحقق بوجود عناصر التواصل وهي المرسل هو هو يخلف الخطاب ويمكن أن يكون فردا أو هيئة معينة، مؤسسة إنتاج سينمائي، دار نشر، مؤلف،...).

ويعتبر هذا المخطط الإتصالي الذي وضعه "رومان جاسكون" الأساس لتمثيل هذا النوع، حيث يقسم "رومان جاسكون" المخطط الإتصالي إلى ستة (6) عناصر بحيث كل عنصر يعبر عن وظيفة معينة للغة².

13. بشير خلف، السينما والسياسة المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص 65.

14. مارس مرتان فريد المزاوي، اللغة السينمائية والكتاب بالصور، دمشق، 2009، ص 7.



ويمكن تمثيل وظائف كل عنصر من عناصر هذا النموذج الاتصالي من خلال¹:

- 1 - الوظيفة التعبيرية
أو التأثيرية: وتتعلق بالمتلقي وهي تحديد العلاقات الموجودة بين الرسالة والمتلقي، حيث يتم تحضير المتلقي وإثارة انتباهه عبر إستمالة الترغيب والترهيب.
- 2 - الوظيفة الشعرية
(الجمالية): وتتعلق بالرسالة ومدى إستنادها إلى البلاغة، تحقق هذه الوظيفة عند إسقاط المحور الإختياري على المحور التركيبي.
- 3 - الوظيفة
التوصيلية أو الإنباهية: أي إقامة الإتصال حسب "رومان جاكسون" وهي القناة أو الإتصال في حد ذاته، وتهدف هذه الوظيفة إلى التبليغ بعينة تأكيد الإتصال واستمراريته.
- 4 - الوظيفة
الميتالغوية أو التحقيقية للغة **Métalinguistique**: وهي الوظيفة التي تحققها الشفرة المستعملة، وتهدف إلى تفكيك الشفرة اللغوية التي تم تسنيها من قبل المرسل أي أنها تترجم الدليل والرمز حيث . تعبر عن معناه.

15. قدور عبد الله الثاني، سينمائية الصورة، مغامرة سينمائية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2012، ص 251.

- 5

الوظيفة المرجعية

Référentielle: وهي الوظيفة الإدراكية أو المعرفية التي تنتج عن السياق أي المرجع النصي أو الواقع المادي وهي تركز على موضوع الرسالة من خلال القرائن¹

- 6

الوظيفة

F.conative: أو التأثيرية وتتعلق بالمتلقي، وهي تحدد العلاقات الموجودة بين الرسالة والمتلقي، حيث يتم تحضير المتلقي وإثارة انتباهه عبر الترغيب والترهيب أي من خلال استخدام المتكلم الجد والهزل وأسلوب الأمر والنهي.

الخطاب السينمائي والإرادة السياسية في الجزائر:

يعتبر موضوع الإرادة السياسية على مستوى السينما من الموضوعات الحساسة نظرا لما تتمتع به الصورة من تأثير مهول على مستوى المتلقي في وقتنا الحاضر، بالإضافة إلى الانتشار الذي تتميز به وسط شرائح الجماهير الواسعة. لأن غرض الفيلم، غير محدد أو مشروط بزمان أو مكان، السينما تتميز بسعة جماهيرها، وتجاوزها لكل الحدود، فهي كونية من حيث أنها تتحول إلى آلية للتواصل في أعماق معانيه، هي في واقع الأمر أداة للتعبير عن معيش الإنسان، وعن مشاكله، وأزماته. لذلك يكون لموضوع الإرادة السياسية على مستوى السينما أهمية خاصة، ولكننا نتساءل في البداية عن طبيعة أو مفهوم الإرادة السياسية على مستوى السينما عموما والفيلم على وجه الخصوص، خاصة في الجزائر.

كما هو معلوم أن مفهوم الإرادة السياسية هي إرادة الدولة وإرادة الدولة هي الشعب، إذن الإرادة السياسية تسمى إرادة الناس وما يريدونه، بدون الإرادة السياسية لا يتحرك مشروع واحد حتى لو اكتملت له كل عناصر النجاح. وهذا ما كانت تعاني منه الجزائر لفترة طويلة، وما تم نقله من خلال الأفلام السينمائية التي حاولت أن تصور الواقع المرير الذي كان يعيشه الجزائريون. لهذا نجد أن الدولة الجزائرية وصناع القرار حاولوا التغيير في نظرهم خصوصا ما شهدته العالم العربي من ربيع عربي دمر أنظم وشرد شعوب، لهذا يرى الكثير من الباحثين الإعلاميين والسينمائيين أنه إن كانت هناك نية لتفعيل الإرادة السياسية في جل المجالات خصوصا الثقافة لأن قوة البلد تقاس من خلال قوة مثقفيه فعلى صناع القرار تفعيلها والاستعجال بها قبل أن تتولد لدى الرأي العام نظرة الماضي الأليم التي تخلصنا منها للأبد. مثلما شهدتها من خلال فيلم "سنوات الجمر" الذي سلط الضوء على أحداث مهولة عاشها الجزائريون وعانوا منها، وكان الثمن باهضا جدا².

المحور الثالث: السينما الجزائرية

يشهد العالم مع بداية القرن الحادي والعشرين مرحلة جديدة، وحقة متميزة في تاريخ التطور البشري فيها من المتغيرات والتحولات، إنه يلعب بعصر السرعة، فضيق الوقت بسبب تضخم التجمعات المدنية، وتعدد وسائل الانتقال من مكان لآخر فيها، والازدحام الناجم عن ذلك³، كما أن الألفية الجديدة قد استهلكت بالكثير من الأحداث التي مست جميع القطاعات السياسية والاقتصادية والأمنية، مما كان له بالغ الأثر على القطاع الثقافي والفني عموما والسينمائي خصوصا، ولعل أهم حدث

16. قدور عبد الله الثاني، مرجع سبق ذكره، ص252.

17. محمد علي عارف جعلوك، أصول التأليف والإبداع في ظروف الألفية الثالثة، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط2، 2011، ص 201.

18. محمد علي عارف جعلوك، المرجع السابق.

هز العالم في بداية هاته الألفية الثالثة وما انجر عنه الكثير من التحولات السياسية هي أحداث 11 سبتمبر الإرهابية والتي وجهت أصابع الاتهام إلى ما أسمته بالمسلمين المتطرفين، والربيع العربي الذي شهدته العالم العربي وكذلك الأزمة الاقتصادية التي شهدتها أكبر الدول ولم تكن البلدان العربية بمنأى عن التحولات التي شهدتها العالم. من خلال كل هذا جاء دور السينمائيين العرب ليصوروا هذه الظواهر وأسباب وقوعها ونتائجها، مثل ما نجده في فيلم المصري "18 يوما" الذي تكلم عن ثورة 25 من جانفي الذي أسقط نظام الرئيس الأسبق "مبارك" والفيلم التونسي "لا خوف بعد اليوم" الذي تعرض للانتفاضة الشعبية التي شهدتها تونس في فيفري 2010، إضافة إلى الكثير من الأفلام الروائية والتسجيلية التي عكست ما اعتري الشعوب العربية من غضب اتجاه حكوماتها. لكن تجدر الإشارة إلى حقيقة مهمة وهي أن الواقع الذي تحياه الشعوب العربية بعد خيبة أملها في ثورات الربيع يؤثر بلا شك على طريقة تفاعلها واستقبالها للأعمال الدرامية التي تصور تلك الثورات¹.

من كل هذا لم تكن الجزائر بعيدة عما يجري ليس بحارة لما يجري في الخارج وإنما مواكبة لتحولات الداخل خاصة وأنها عانت لسنوات من همجية التطرف والإرهاب لتظهر أعمال سينمائية تعرف بالإجرام، وتصور الظاهرة في أبشع صورها حاصدة بتلك الأفلام جوائز دولية، ولم تقتصر سينما الألفية الثالثة على مواضيع العنف والإرهاب، بل واكبت الحياة الاجتماعية بتصويرها لظواهر اجتماعية يعاني منها المجتمع الجزائري، منها ظاهرة الهجرة السرية للشباب تجسد ذلك في فيلم "حراقة" لمخرجه "مرزاق علواش" بمساعدة "ديميتري ليندر"، كما أرخت سينما الألفية الثالثة للثورة من منظور العصر، غير مكثفة بعرض المعارك والحروب، بل تناولتها من وجهة نظر سياسية مبرزة الصراعات التي كانت قائمة داخل البيت الجزائري - بين جماعة مصالي الحاج وجماعة جبهة التحرير الوطني - وتجسد ذلك في فيلم "خارجون عن القانون"، حيث صورت الواقع بكل معطياته وعالجته سينمائيًا حيث انفتحت على الواقع في بعده الانفعالي والسيكولوجي ويتم ذلك من خلال استنادها على زاوية معالجة التي قد تكون اجتماعية أو سياسية أو تاريخية أو واقعية.

لكن الأزمة التي شهدتها القطاع السينمائي بعد رفع الدولة دعمها بشكل شبه كلي للقطاع، دفع بالكثير من السينمائيين الجزائريين إلى التفكير في كرق أخرى لتجاوز العائق المادي من خلال هجرتهم للخارج للبحث عن التمويل من أجل تجسيد أفكارهم على أرض الواقع ومن بين هؤلاء نجد المخرج "مرزاق علواش"، "محمد زموري"، "محمد بو عماري"، "ابراهيم تسامي"، "رشيد بلحاج"، وغيرهم، هذا ما أدى إلى إبراز سياسة الإنتاج المشترك التي طغت على الساحة السينمائية الجزائرية في الآونة الأخيرة.

السينما الجزائرية في ظل رهانات تكنولوجيا الاتصال:

إن تطور مصادر الاتصال المعلومات كما ونوعا، وكذلك الموضوعات المتشعبة والمتداخلة التي تعكسها قد فرضت علينا اللجوء إلى تكنولوجيا الاتصال المعاصرة، كنتيجة حتمية لتأمين السيطرة على المعلومات وتهيئتها للباحثين والسينمائيين

19. محمد علي عارف جعلوك، أصول التأليف والإبداع، مرجع سبق ذكره، ص 204.

20. روي ارمز، السينما الأفريقية في البلدان الواقعة شمال الصحراء الكبرى و جنوبها، ترجمة، سهام عبد السلام، المركز القومي للترجمة ص 144

والمستفيدين الآخرين بالسرعة والدقة والشمولية التي يتطلبها منطق العصر، ضمن هذه التطورات، أصبح جهاز الكمبيوتر أداة أساسية لتخزين المعلومات وتنظيمها ومعالجتها، وأصبح المنطق الافتراضي أو اللامادي يغزو جميع الميادين¹.

وفي هذا السياق اتجهت الكثير من القطاعات في العالم إلى الاستثمار في التكنولوجيا الجديدة، وعلى رأسها تكنولوجيا الاتصال لما توفره من سرعة ودقة عاليتين، إنتاجية كبيرة، جودة متميزة وقد ترجم هذا التبنى هجرة كمية ضخمة من النشاط الاجتماعي والثقافي من الواقع الراهن إلى شبكات تفاعلية رقمية مبنية على المعايير المفتوحة كشبكة الأنترنت مثلا. من كل هذا نجد أن الكثير من السينمائيين الجزائريين حاولوا استغلال هذه التكنولوجيا التي ساعدتهم في انتشار أفلامهم والترويج لها بسرعة فائقة وبدقة عالية، بالرغم من الصعوبات التي عانوا منها من تمويل من طرف الدولة إلا أن هذه التكنولوجيا وبأبسط الأشياء مكنت من التعريف بهم في وقت قصير، فقد وفرت لهم عدة خصائص مثل:

- 1 -التفاعلية
- 2 -اللاتزامية (عدم الارتباط بعنصر الوقت)
- 3 -التوجه نحو التصغير (قابلية التحرك أو الحركية)
- 4 -قابلية التحويل (بمعنى تحويل الرسائل المسموعة إلى مكتوبة)
- 5 -قابلية التوصيل والتركيب
- 6 -الشيوع والانتشار
- 7 -الكونية
- المحور الرابع: الأبعاد الجيوسياسية للسينما المغاربية المهاجرة -8
- 9-

تشهد الأبعاد الجيوسياسية للسينما المغاربية تغييرات كل ثلاثة أو أربعة عقود من الزمن و عادة ما تكون متعلقة -10 بالاضطرابات الداخلية وسط البلدان المنتجة لها ففي ظل المخاض السياسي و التضارب الثقافي الذي شهدته الكثير من الدول في الآونة الأخيرة و خاصة المغاربية، نجد أن الكثير منها تحاول تغيير خريطتها السياسية من خلال تحسين صورتها عبر الأفلام السينمائية التي تروج لتعدد ثقافة بلدانهم وهذا ما شاهدناه على الصعيدين الأفريقي و العربي، فقد كانت رائدة في النهوض بالإنتاج السينمائي، فمن بين الأفلام التي كان لها بعد جيوسياسي نج فيلم "أرضي" للمخرج المغربي نبيل عيوش و فيلم أندرومان من دم و فحم للمخرج عز العرب العلوي و غيرهم، حيث نجد المغرب مثلا كانت سباقة ب 25 فيلم لسنة 2018 بفضل الدعم الكبير الذي تقدمه الدولة ممثلة في المركز السينمائي المغربي للمنتجين فضلا عن رغبة المخرجين الموجودين على الساحة السينمائية المغربية في تقديم تجارب تعبر عن قضاياهم و مشاكلهم و من بين الأفلام التي لاقت صدى كبيرة في السينما المهاجرة نجد فيلم "إطار فارغ" للمخرج فوزي بن سعيد و الذي شارك في مهرجان و مهرجان مالو للسينما العربية و فيلم آخر "ولولة الروح" للمخرج عبد الإله الجوهري و الذي شارك هو الآخر في العديد من المهرجانات مثل مهرجان الإسكندرية للسينما في البحر الأبيض المتوسط و الذي حصل فيه على

جائزتي أفضل سيناريو و أفضل ممثلة ، كما نجد فيلم "البحث عن السلطة المفقودة" للمخرج محمد عهد بن سودة و الذي شارك في مهرجان مالو للفيلم العربي بالسويد.

أما المتتبع للسينما المهاجرة في تونس يلاحظ تغيرا واضحا في مضامينها بسبب تغير الواقع الاجتماعي و السياسي -11 خصوصا بعد ثورة الربيع العربي ، حيث نجح أنا السينما التونسية وفرت مساحة واسعة لنقد النظام السياسي و طرح مشكلات الواقع الاجتماعي و هذا ما أثر على بعدها الجيوسياسي و تغير صورتها أمام العالم، فقد أصبحت كل انتاجاتها السينمائية ترصد الواقع دون تزييف و من بين الأفلام التي لقيت نجاح كبير نجح فيلم "على حلة عيني" ، و فيلم

"غدوة حبي" للمخرجة رجا العمري الذي سلط فيه على الربيع التونسي و غيرهم. -12

أما فيما يخص الانتاجات السينمائية الجزائرية نجد أن هناك مايلفت الانتباه خصوصا في السنوات الأخيرة و هذا بحضور -13 عدد معتبر من الأفلام المنتجة بميزانيات منخفضة جا برغم من عدم دعم الدولة للمنتجين و المخرجين السينمائيين بسبب تطبيق سياسة التقشف عليهم، و لكن رغم هادا لم تقف إرادتهم في تجسيد أعمالهم على أرض الواقع و من بين تلك الأعمال نجد فيلم "شرطي بلقيش" للمخرج بشير درايس و الذي لا يزال يأمل في عرض العمل وسط حرب التصريحات بينه و بين وزارة الثقافة و وزارة المجاهدين ، و فيلم "الجزائر بالليل" للمخرج يانيس كوسيم و الذي لم يعرض برغم من أنه ممول من طرف الدولة إلا انه يواجه مشكلة الترخيص له بالعرض.

من كل هذا نقول أن التحولات الجيوسياسية التي شهدتها منطقة المغرب العربي و التي ارتبطت أساسا بالحراك العربي -14 الذي جاء ليعبر عن الرفض الشعبي لأنظمتها السياسية نتيجة للأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية المزرية التي باتت تعيشها المجتمعات العربية عامة و المغاربية خاصة، و بالتالي ما كان مرجوا هو الاستجابة لتوقعات الشعوب المشروعة و هادا ما حاول الكثير من المنتجين و المخرجين السينمائيين تجسيده في أفلامهم من خلال بناء دولة القانون قوامها الديمقراطية و احترام حقوق الإنسان.¹

النتائج:

- 1 - لا بد على صناع القرار الجزائريين من أن يفوتوا فرصة للأعداء الساعين لحبس القن السابع في خندق الرجعية والتطرف.
- 2 - تشجيع التبادل الثقافي بين البلدان وهذا ما تسعى إليه السينما من خلال إنتاجاتها المشتركة.
- 3 - نجد أن ما يسمى بالسينما أو الفن السابع قد ساهم بشكل كبير في نقد الواقع السياسي حيث اعتبرت كمرآة عاكسة للأوضاع التي تعيشها الشعوب.
- 4 - محاولة السينما في توحيد التجمع الإقليمي من خلال إنجازات السينمائيين.
- 5 - مساهمة التكنولوجيا في تطوير الوسائل التي تستعملها السينما والتي ساعدت من انتشار الأعمال السينمائية في العالم.
- 6 - أن وسائل الاتصال الجماهيرية قد أصبحت تتسم بالطابع الدولي والعالمي، حيث أحدثت الثورة المعاصرة طفرة هائلة في ظاهرة عالمية لأعمال سينمائية.
- 7 - إنتاج مشترك، وتمويل مشترك بين الجزائر، وعدد من الدول الأجنبية وعلى رأسها فرنسا وهذا ما شهدناه في الألفية الثالثة.
- 8 - إرادة السياسة في المجال الثقافي السينمائي ضعيفة خصوصا من خلال دعمها للمنتجين السينمائيين.
- 9 - الأفلام السينمائية الجزائرية في الألفية الثالثة قد وظفت الحقائق السياسية سينمائية، لكن الملاحظ أن بعض المخرجين قد اتسمت أعمالهم بالرمزية والكناية وغيرها من التقنيات الفنية للتعبير عن آرائهم بعيدا عن الرقابة، لأن المخرج يعلم بأن أعماله ستمنع إذا اتسمت بالجرأة، واخترت الحواجز الموضوعية من قبل صناع القرار.

خاتمة:

إن موضوع دور السينما في رسم الخريطة الجيوسياسية موضوع بكر، فهو جدير بدراسات متعددة ومتكررة ومختلفة زوايا التداول، ذلك أن هذا الفن الجماهيري، تطور وتبلورت لغته وخطابه، وبأن أسلوبه المميز سريعا، واستطاع بفضل تقنياته في الإبهام والتأثير واستخدامه للتكنولوجيا المتطورة، أن يستحق لقب فن العصر الحديث بلا منازع وأن يضع لنفسه كيانا راسخا بين الفنون الأعرق منه، وأن يستفيد منها ويدمجها في قلبه لهذا نجد أن جل البلدان ومنها المغاربية عامة والجزائر خاصة أن تستغله من أجل تبوؤ مكانة لا ترقى في العالم.

قائمة المراجع

1. إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ص 42.
2. وهيبه مجدي، أحمد عامل مرسى، معجم الفن السينمائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ص 66.
3. سامح عبد السلام محمد، الدلالة بين المفهوم والإصطلاح، دار النور المصرية، القاهرة، مصر، 2014، ص 18.
4. محمد الهيلوش، مبادئ الخرائط، دار المسلك للدراسات الجغرافية، المغرب، 2011، ص 63.
5. عبد القادر إسباعي، قراءة وتحليل الخرائط الجيوسياسية ومبادئها، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2003.
6. محمد شومال، تحليل الخطاب، النظرية التطبيقية، الدار المصرية، اللبنانية، 2007، ص 80.
7. عبد القادر شرشار، تحليل السرد، وقضايا النص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 103.

8. مارس مرتان فريد المزاوي، اللغة السينمائية والكتاب بالصور، دمشق، 2009، ص 75.
9. نائل عزيز تركماني، الحثم محمود عبد الحميد، تاريخ السينما، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص120
10. بشير خلف، السينما والسياسة المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص 65.
11. مارس مرتان فريد المزاوي، اللغة السينمائية والكتاب بالصور، دمشق، 2009، ص7.
12. قدور عبد الله الثاني، سينمائية الصورة، مغامرة سينمائية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2012، ص 251.
13. محمد علي عارف جعلوك، أصول التأليف والإبداع في ظروف الألفية الثالثة، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط2، 2011، ص 201.
14. روي ارمز، السينما الأفريقية في البلدان الواقعة شمال الصحراء الكبرى و جنوبها، ترجمة، سهام عبد السلام، المركز القومي للترجمة ص 144